

الوسائل العلمية لمعالجة الإجرام

وكيف تقوم بها مؤسسة إنجليزية
للأستاذ س . م .

سبق أن ذكرنا في هذه المجلة أن معظم الإصلاحات التي تقوم بها الحكومة البريطانية إنما ابتكرها الشعب وسار بها شوطا بعيدا كان بمثابة التمسيد للطريق والقيام « بتجارب والكسب للاختبارات » حتى إذا اتصحت الفائدة تقدمت الحكومة وعادت برجالها ومالها أو تحتل المبدأ كله . وهذا هو الذي نراه في التعليم بالمجان وفي التأمينات الاجتماعية وفي مكافحة الأمراض ، بل وفي مكافحة الفاقة . وهذا هو ما ينتظر من كل دولة ديمقراطية . فإن الابتكار في الديمقراطية للشعوب وليس للحكومات .

وهكذا الشأن أيضا في المعالجة العلمية للإجرام . ففي بريطانيا الآن ما يسمى « مؤسسة المعالجة العلمية للإجرام في الصغار » وهي هيئة شعبية مؤلفة من الأطباء واسيكولوجيين الاجتماعيين . وغايتها بحث الأحوال التي تؤدي إلى السنوك السيئ في الصبيان وهو الذي يوقعهم في الإجرام ولا يؤدي بهم مع ذلك إلى السجن . ولكن قد يؤدي بهم إلى الإصلاحات . وليست غاية هذه المؤسسة أن يستبدل الطبيب بالقاضي . ولكن المقصود هو التعاون بين الاثنين . وفي البرلمان البريطاني مشروع قانون في الوقت الحاضر يراد به معالجة المجرمين الصغار بالوسائل التي اهتمت إليها هذه المؤسسة . والتعاون قائم الآن بين هذه المؤسسة وبين محاكم الصبيان . فإن المجرم يحال على المؤسسة التي تبحثه من ثلاث نواح .

الناحية الأولى هي الفحص عن صحته الحسية . فإن هناك أمراضا تجعل المجهود الصغير متعبا مضطربا يهرب منه الصبي ويحتاج للحصول على القليل من المال الذي ينفق بوسائل لا يقرها المجتمع أو هو يقصر في عمله لضعفه الجسماني فيلقى من تعقوبات والفساد والإخراج ما يوجهه إلى هذه الوسائل فيقع في الإجرام . ولذلك تشرع المؤسسة عندما يصل إليها أحد المجرمين الصغار في الفحص لتطو عن أمراضه وتعاون معالجته . وقد يعود الصبي سويا بعد ذلك ليس به شذوذ .

فإذا لم يكن به عيب جسماني أو اعتلال صحي تبحث المؤسسة حاله السيكولوجية ، وهذه هي الناحية الثانية فقد يكون جسمه سليما ولكن نفسه مريضة . لأنه قد نشأ بشخصية عوجاء وتعلم أسلوبا خاطئا في المعيشة والأقضية الاجتماعية . وهو هذا يحمل نفسه وقد يكفي أن

بمحدثه العالم السيكلوجى خمس مرات. ولكن فى الحالات المستعصية يحتاج إلى ستين محادثة. وياتى التأليف بعد التحليل ، فإن شخصيته يجب أن تؤلف من جديد باتخاذ أسلوب آخر فى الحياة وإيجاد مثليات جديدة وتعود عادات حسنة .

أما الناحية الثالثة ، وهى الناحية الاجتماعية ، فإن المخصص الاجتماعى بهالجها يبحث البيئة البئية التى نشأ فيها هذا الصبي . فلعل أحد أبويه كان مجرماً فاتخذ الصبي أسلوبه فى الحياة منه بالقنوة . ولعل صبيان الشارع قد هياؤا له عشرة السوء فتعلم منهم . بل لعل العائلة تعيش فى فاقة سوداء تجعل الصبي يرب ويسرق لئى يعوض نفسه من الحرمان الذى يلقاه فى البيت . وفى بل هناك الأبوان المتشاقان اللذان يعلنان الصبي يكره البيت ويفر منه الى الشارع . وفى هذه الأحوال جميعها يعالج الصبي بلحاقه بأحد الأندية التى يجد فيها السلويات المتعددة التى تقيه من التشرذ كما أن العائلة تجهد من بزورها ويحاول إصلاحها بأعادة الوفاق بين الزوجين أو بتوجيه الزوج الى العمل الكاسب . وأحياناً يؤخذ الصبي من البيئة السيئة ويسلم لإحدى العائلات الحسنة التى تتبناه وتحسن إرشاده وتعليمه .

ولا يقتصر مجهود هذه المؤسسة على إصلاح الصبيان المجرمين واستردادهم أعضاء نافعين للجتمع ، بل هى تنظم المحاضرات للأطباء والقضاة حتى يستيروا فى الأسباب العديدة التى تتواطأ على إيجاد المجرم الصغير . وقد عنيت جامعة لندن بهذه المؤسسة واعترفت بشهادتها ، وهذا تقدير كبير . كما أن الاصلاحيات الانجليزية أخذت بتعاليمها واسترشدت باستنتاجاتها ولذلك لم تعد هذه الاصلاحيات مجبوزاً بل حتى الاسم قد ألغى فى بعضها وأطلق عليها اسم "المدارس" لئى لا يعلق بها ما بؤهم العقوبة ولكى لا يئشأ الصبي وفى نفسه جرح نفسى قديم بشأن شذوذه عن زملائه .

ولا يقتصر الانتفاع بهذه الأبحاث على الصبيان الشاذين أو الناشزين . لأننا كما نعرف الصحة بدرس الأمراض كذلك نعرف الأخلاق السوية والسلوك الحسن بدرس الأسباب التى تؤدى الى ضدهما . فالعلم فى المدرسة والوالد فى البيت كلاهما ينفع بدرس الاستنتاجات التى وصلت اليها هذه المؤسسة . وقد ظهر فى الانجليزية كتاب حديث باسم "المعالجة السيكلوجية للجريمة" لمؤلفيه الدكتور اميست والدكتور هوبرت .

وهذا الكتاب قائم على أبحاث "مؤسسة المعالجة العلمية للإجرام فى الصغار" .

ولا تزال هذه المؤسسة شعبية لا شأن للحكومة البريطانية بها من حيث التنظيم والنفقات ولكن السجون والإصلاحيات الحكومية انتفعت بها . كما أن جامعة لندن تعاونها الآن . ولن يكون الزمن بعيداً حين تشترك الحكومة اشتراكاً فعلياً فى زيادة العناية بالمجرمين الصغار يجعل هذه المؤسسة حكومية يرجع اليها فى كل ما يتعلق بالجريمة للصغار والكبار .